خصائص الصيغ المفردة في القرآن الكريم

* د. فوزي إبراهيم صالح حمد

المستخلص: يحاول الباحث في هذه الدراسة الموجزة إلقاء الضوء على الخصائص البلاغية للمفردة القرآنية، حيث لوحظ أن جل دراسات المهتمين بإعجاز القرآن الكريم وبلاغته تركزت حول نظمه وتراكيبه.

وشاهد ذلك ما قرره شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في مستهل مصنفه البلاغي الفريد (دلائل الإعجاز) قال: "ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة؛ مع معاني الكلم المفردة شغل، ولا هي منا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب". (دلائل الإعجاز، 1992، ص 72)

ويمكن أن يُحمل كلامه على المنهجية التي اختارها لنفسه، بحيث تنصب دراسته على نظم القرآن فقط، وليس إنكاراً لمكانة المفردة القرآنية وإعجازها البلاغي.

وإن وُجدت دراسات اهتمت بفصاحة اللفظ المفرد، لكنها في أغلبها دراسات على المستوى النظري، ولم تولِ المفردة القرآنية حقها من بيان ما تتضمنه من بلاغة وإعجاز. مثل كتاب (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت466هـ) وكتاب (المثل السائر) لابن الأثير (ت637هـ).

وهذا البحث محاولة متواضعة لبيان ما تضمنته المفردة القرآنية من خصائص بلاغية إعجازية، انطلاقاً من اعتقادنا الراسخ بأن القرآن المجيد معجز في ألفاظه المفردة، كإعجازه في نظمه وتراكيبه المبهرة.

مقدمة

يدرس هذا البحث الخصائص البلاغية للمفردة القرآنية، من حيث مناسبتها للمعنى، والسياق الذي وردت فيه، فلا تنوب عنها مفردة غيرها، تؤدي المعنى المراد في ذالكم السياق.

وحقيقة الأمر أن نص الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ أعني قوله: "ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة؛ مع معاني الكلم المفردة شغل، ولا هي منا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب". (دلائل الإعجاز، 1992، ص 72)

هو الشرارة – إن صح التعبير – التي جعلتني أهتم بهذا الموضوع، وأتساءل عن استبعاده للكلمة المفردة في دراسته، وأتأول مراده.

وأقيم هذا البحث على مبحثين: الأول يدرس الخصائص العامة للمفردة القرآنية على المستوى النظري، حيث جمعت عدداً من الخصائص التي ذكرها العلماء والباحثون، بإيجاز – آمل أن يكون غير مخل. والمبحث الثاني: هو المستوى التطبيقي من البحث،

---

* أستاذ البلاغة العربية وآدابها المساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة إجدابيا.

fozegrfa@gmail.com

حيث اخترت عشرة شواهد قرآنية، وقمت بتحليلها، وبينت موضع الشاهد فيها؛ مستأنساً بأقوال المفسرين، والمهتمين بإعجاز القرآن وبلاغته.

واتبعت المنهج الوصفي التحليلي؛ في هذا البحث، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن يجعلنا من أهل كتابه، وأن يعلمنا ما جهلنا، وينفعنا مما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

خصائص مفردات القرآن

أنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه الكريم كتابا جعله معجزته الخالدة التي تنقطع الأطماع دون محاولة الإتيان بمثله أو مجاراته. فحباه الله – على كثرة آياته وتعدد موضوعاته – بخلوه من الاختلاف والتناقض، مع حسن نظم، وبديع تأليف ورصف، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].

إن النظم المحكم، والرصف المتفرد، والبناء المتلاحم، من أخصّ خصائص القرآن، وأدق صفاته، وأولى العلماء نظم القرآن وصيغه وأساليبه عناية خاصة، واهتموا ببيان سر إعجازه البلاغي، على مستوى الألفاظ، والتراكيب.

لكن من الإنصاف أن يُقال: إن اهتمامهم انصب على النظم والتراكيب، على حساب الاهتمام بالألفاظ والصيغ المفردة، فلم تلق ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته العناية والاهتمام التي حظيت بها تراكيبه وأساليبه.

وهذا إمام البلاغيين عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) يحدد موقفه من الكلمة المفردة في مستهل مدونته البلاغية (دلائل الإعجاز) قال: "ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة؛ مع معاني الكلم المفردة شغل، ولا هي منا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب". (دلائل الإعجاز، 1992، ص 72)

فهل نفهم من كلام الإمام عبد القاهر أن بلاغة القرآن وإعجازه مرتبط فقط بنظمه وتأليفه، فليس للألفاظ المفردة تعلق بالإعجاز البلاغي في القرآن.

أم أنه واضح المنهج، متسق الفكر في إطار تصوره. فهو لا ينكر أن للكلمة المفردة وخصائصها مدخلاً في الفصاحة، وأن لها شيئاً تؤديه في فصاحة الكلام، ولكنها مع ذلك لا ترقى في نظره لأن يُنسب إليها دور أساسي في بلاغة يُناط بها الإعجاز. (درويش ص337.) و(إبراهيم الخولي، 2007، ص181)

وللمفردة القرآنية سر عجيب يؤثر في النفس الإنسانية، إذ إنها متمكنة في مكانها مناسبة للسياق، تدل على المعنى اللغوي بدقة بحيث لا يحل مكانها غيرها، تثير في الذهن صورة فنية، وذلك بتجسيم المعنويات، وتشخيص الأشياء، وبث الحركة والحيوية في الصورة، كما أنها تمتع القلب والوجدان. و (إعجاز القرآن الكريم، ص ص337...344.) و(إبراهيم الخولي، 2007، ص181)

وذكر بعض العلماء خصائص لألفاظ القرآن المجيد منها:

تميز المفردة القرآنية دون سائر الكلام:

من المعلوم أن مفردات القرآن عربية، لكنها تيمزت عن غيرها وأصبح لها سر لم يكن قبل أن تكون في القرآن؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما أنزل كتابه ببيان معجز، جعل للكلمة فيه رونقاً، وكساها ثوباً قشيباً، وأفاض عليها دلالات أخرى فوق ما يدرك منها في اللغة، ويلحظ هذا واضحاً في المصطلحات الشرعية، كالصلاة، والصراط، والنفاق...إلخ.

تميز المفردة القرآنية لفظاً ومعنى:

جاءت مفردات القرآن على وجه عجيب، فلا تجد فيها اختلافاً بين دلالة اللفظ على المعنى المراد بدقة، وتصويره الموقف بجرسه وحركاته ومدوده بشكل بديع، ولا تجد كلمة ينبو مكانها أو كلمة أخرى تحل محلها، فهناك تآخ بين الدلالة اللغوية والتصوير، والمعنى المراد إيصاله للمخاطبين، فالكلمة القرآنية تطرق السمع بنغماتها وتصويرها قبل أن تلامس الوجدان والشعور.

تميز المفردة بخاصية التصوير:

شاء الله أن ييسر على عباده فهم كتابه، فصور لهم كثيراً من المعاني الدينية، فنقلها من معناها الذهني العقلي المجرد، إلى حيز المادي المحسوس، بوساطة الاستعارة كما فى التعبير عن الهدى بالضياء، والضلال بالظلام...ونلحظ أن وسائله في البيان القرآني مفردات مستمدة من الطبيعة. فكان هذا عاملاً مؤثراً في النفس الإنسانية؛ لما للصورة من تأثير في الفهم والوضوح.(محمد المنجد ص224.)

المفردة القرآنية لها معنى خاص يميزها مما يوهم الترادف.

تأخذ المفردة معنى خاصاً ضمن السياق يجعلها متميزة به، حتى لا يصلح مكانها أي كلمة أخرى مما يتوهم أنه من مرادفاتها، وقد تبين لنا من تحليل مجموعة من الألفاظ القرآنية التي توهم بالترادف براءة القرآن من هذه الظاهرة اللغوية، إن صح تعميم الحكم على سائر ألفاظه، فقد هدى التأمل في آيات الكتاب العزيز بعد الإفادة من أقوال السلف، واستقراء الألفاظ في مواضعها،

وعرضها على لغة القرآن نفسه – إلى اختصاص كل لفظ منها بدلالة أو أكثر من الدلالات الهامشية التي يمتاز بها، من الألفاظ الأخرى التي تشاركه في المعنى العام.

ولا غرو في ذلك فهو البيان الأعلى الذي خلّف وراءه ألسنة الأعراب في عصر الفصاحة عاجزة متلجلجة، وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بآيات من مثله ولو مفتريات، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولا ريب أن ما وجدناه من فروق بين ألفاظ تقاربت دلالتها في آيات الكتاب المبين، يُعد واحداً من أسرار فصاحته وإعجازه، فكان أن امتاز من البيان البشري بدقة ألفاظه، وتوافق معانيه. والذي خلص إليه الباحثون في إعجاز القرآن الكريم البلاغي خلوه من ظاهرة الترادف، وهذا من وجوه إعجازه، حيث إنه لكل لفظ في نظمه المبين مقام لا يقوم فيه غيره. (الشاطبي – الموافقات (3/ 346).) و(دلا ئل الإعجاز ص585)

5- التناسب الإيقاعي في المفردة القرآنية:

إن هنالك نوعاً من التناسق الرائع بين الحروف في الكلمة الواحدة. فنظرة إلى تلك الحروف تبرز تناسبها لبعضها تناسباً طبيعياً في الهمس، والجهر، والشدة، واللين، والتفخيم، والترقيق، مما يشكل أنغاماً متناسقة متناسبة. وهذه الخاصية تعود بلا شك إلى طريقة اختيارها وسبكها وتناسب مخارجها. كما أن وضع الكلمة في الآية، واختيار موقعها، والتئامها مع جارتها، له الأثر الكبير في إعطاء هذا الجرس الخاص والإيقاع المؤثر في نفس السامع.

ومن هنا يبدو لنا بجلاء سبب إطلاق العرب الأوائل في بداية نزول الوحي اسم الشعر على القرآن الكريم، لأنهم لم يعهدوا هذه النظم، وهذا الوزن، وهذا النغم إلا في الشعر. ولكنهم عندما قاسوا القرآن على أوزان الشعر المعهودة لديهم، وجدوا القرآن الكريم مغاير لقيود الشعر الكثيرة، من قافية موحدة، وتفعيلة تامة.

فأيقنوا أن القرآن الكريم له فواصله الخاصة به، وإيقاعه الخاص به، فلم يملك قائلهم إلا أن يقول: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته.(الزمخشري (1/ 294).

خلاصة القول: إن اختيار كل مفردة في النسق القرآني، بل كل حرف في كل كلمة، يُعد وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغي فيه، بحيث لا تصلح أي مفردة أخرى – على سعة مفردات العربية – مكانها، ولعل مرد ذلك كما يقول ابن عطية: "إن الله أحاط بكل شئ علما وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، ويتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا النطق". (ابن العربي (1/ 139)).

والقرآن الكريم في مجمله حروفاً وألفاظاً وتراكيب؛ لا يوجد فيه شيء خارج عن المألوف والمتداول في لسان العرب، وميسر للفهم؛ إذ لو خرج عن إدراك العقول لمعانيه، ثم طُلب منهم الإتيان بمثله لكان ذلك من تكليفهم ما لا يُطاق. وهذا من جملة الوجوه الإعجازية فيه، إذ من العجب إيراد كلام من جنس كلامهم ومعانيهم وأساليبهم، مفهوم معقول، ثم لا يُقدر على الإتيان بشيء من مثله. (الزمخشري، (1/ 294).

والمتأمل لألفاظ القرآن يلمس التماسك بين كلماته واتساقها في التراكيب، فلن تجد فيه كلمة ينبو بها مكانها، أو لفظة يُنكر شأنها، أو يُرى غيرها أصلح منها هناك أو أشبه أو أحرى، بل نجد اتساقاً، ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً بهر العقول، وأعجز أهل الفصاحة والبيان.

المبحث الثاني

شواهد الخصائص البلاغية للمفردة القرآنية

في المبحث الثاني وهو المستوى التطبيقي من البحث، نورد مجموعة من الشواهد التي تبين دقة وتناسق وإعجاز القرآن في اختياره مفردات دون غيرها، وأوردتها بحسب ترتيب ورودها في سور القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

قال تعالى: الصيام ولم يقل الصوم؛ لأن الصيام الامتناع عن الطعام والشراب وباقي المفطرات من الفجر حتى المغرب، أي فريضة الصيام المعروفة خلال شهر رمضان.

أما الصوم فيخص اللسان وليس المعدة لذلك قال تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26]. وجاء في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به".

فقدم الصوم في الآية الذي هو حفظ اللسان على الصيام؛ لأنه الأهم في هذه الفريضة العظيمة. قال ابن العربي: "كَانَ الصَّوْمُ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا بِإِمْسَاكِ اللِّسَانِ عَنْ الْكَلَامِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي شَرْعِنَا".(ابن الجوزي 18/ 230)

2. قال تعالى: (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[سورة البقرة:223].

اختيار لفظة (حرث) دون سواها؛ لما فيها من لطف الكناية، وفي ذلك التشابه بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح.

بينما هذه اللطائف لا تستفاد من كلمة (الأرض) إذ قد تكون جدباء لا تصلح لحراثة الزرع، وكذلك (الحقل) فإنه لا يدل على عمل المالك فيه، بل تدل الكلمة على شيء جاهز لا دخل فيه لبذر الحارث. بذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يتناول من الكلمات المترادفة أدقها دلالة على المعنى، وأتمها تصويراً وتشخيصاً للصورة، وأجملها وأحلاها إيقاعاً ووزناً بالنسبة إلى نظائرها.(ابن الجوزي (18/ 230) و(القرطبي،3/ 93).

وزيادة للفائدة: يلحظ أنه قال (حرث) بالإفراد والنساء جمع، فلم يقل: حروث، وأجيب عن ذلك، بأنه أراد حروث لكم، فاكتفى بالواحد عن الجمع. كما قال الشاعر: كلوا في نصف بطونكم تعيشوا أي: في أنصاف بطونكم.(القرطبي (3/ 93).

وفي الآية صورة تشبيهية رائعة، إذ الحرث إلقاء البذر في الأرض هذا أصله، وشُبهن النساء بذلك لما بين ما يلقى في أرحامهن، وبين البذور من المشابهة، من حيث إن كلاً منهما مادة لما يحصل منه، ولما عبر تعالى عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالإتيان كما تقدم فقال: (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي: فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم، لا تحظر عليكم جهة دون جهة، والمعنى جامعوهن من أي جهة شئتم.

وأنشد ثعلب :

إنما الأرحام أر　　ضون لنا محترثات

فعلينا الزرع فيها　　وعلى الله النبات. (ابن القيم ،1: 237)

كما أن في قوله: (فأتوا حرثكم أنى شئتم) كناية لطيفة، وتعريضا مستحسناً، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها، ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتبتهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117]

قال تعالى: مصلحون، ولم يقل: صالحون؛ لأن الصلاح دون الإصلاح لا يكفي للنجاة والفلاح، فإنما يقض مضاجع الظلمة المصلحون لا الصالحون، وقد أحبت قريش سيدنا محمداً ﷺ عندما كان صالحاً، وكرهوه وحاربوه عندما أصبح مصلحاً. (السامرائي، ص10)

4- وفي قصة يوسف عليه السلام استعمل التعبير القرآني كلمة (فأكله الذئب) من قوله: ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف: 17].

ولم يقل: افترسه الذئب، علما أن الشائع في الاستعمال إطلاق كلمة (الافتراس) على مثل هذا النوع، وذلك للطيفة دقيقة وهي أن الافتراس من فعل السبع معناه القتل فحسب، وأصل الفرس: دق العنق، والقوم إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلاً ولا عظماً. وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إيّاهم بأثر باقٍ منه، يشهد بصحة ما ذكروه، فادّعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى فلم يصلح على هذا أن يعبّر عنه إلا بأكل. (البحر المديد ، 3/ 369).

قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]

قال الله تعالى: (غلّقت) ولم يقل أغلقت؛ لأن هناك فرق بين الإغلاق والتغليق، لو أنه قال: أغلقت لأفاد ذلك أنها ردت الأبواب ردا خفيفاً، وإنما قال: غلقت ليفيد أنها ثبتت الإغلاق تثبيتاً محكماً، بحيث لا يقوى على فتحها أحد إلا الله جل في علاه، وغلق الشيء يغلق غلقاً وأغلقه غيره إغلاقاً. قال الفاسي:" (وغلقتِ الأبواب)، قيل: كانوا سبعة. والتشديد للتكثير ، أو للمبالغة في الإيثاق" (ابن منظور، تهذيب اللغة، ،عقر).

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: 5] وقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: 8].

قال تعالى: عاقرا، ولم يقل: عقيما، اقترن العقر بالكبر في هاتين الآيتين؛ لأن العقر أمر ينزل بالمرأة من عاهة أو مرض يمنعها الولادة، قال الأزهري: يقال امرأة عاقر، ولقد عَقُرت أشد العُقْر، وأعقر الله رحمها فهي مُعقَرة، وقد عَقُر الرجل مثل المرأة، ورجال عُقُر ونساء عُقر. وقالوا: امرأة عُقَرة مثل هُمَزة، وهو داء في الرحم. وأنشد ابن بزرج: سقَى الكلابيُّ العُقيلي العُقُرْ، قال: والعُقُر: كل ما شربه إنسان فلم يُولدَ له، فهو عُقر له. قال: ويقال أيضاً عَقَرَ وعَقِر، إذا عَقُر فلم يحمل له. (ابن منظور، تهذيب اللغة، عقم).

أما العقم فهو اليبس المانع من قبول الأثر، وداء عقام، أي لا يقبل البرء، والعقيم من النساء هي التي لم تلد قط، وهو أمر واقع بها خلقة، قال تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[الشورى: 50].

واستعمل العقم في كل شيء مقطوع لا دابر له، فالريح العقيم هي التي ليس فيها رحمة، ولا تلقح سحاباً ولا شجرة قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41]. (ابن القيم ، 3/ 653) و(فاضل السامرائي ص724)

قال تعالى: ﴿يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: 45]. قال: الرحمن، ولم يقل: الجبار، مع أن الامر متعلق بالعذاب...

لو نظرنا إلى الآية التي سبقت هذه الآية نجد قوله تعالى: ﴿يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: 44].

وقد ذكر فيها (الرحمن) أيضا، ونلحظ أن لفظ (الرحمن) تكرر في هذه السورة (16) مرة وهي أكثر سورة تكرر فيها لفظ (الرحمن) وهذا يدل على أن أجواء الرحمة تشع في هذه السورة. كما نلحظ أن الآية التي جاءت بعد هذه الآية هي قوله: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: 47]. لذلك يتطلب السياق الرحمة، فلا يصح أن يقول: سأستغفر لك الجبار؛ لأن المغفرة تُطلب من الرحمن، وليس من الجبار، لعله تدركه رحمة الله فيؤمن؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان حريصاً على إيمان أبيه آزر. (فاضل السامرائي ص724)

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20].

اختار لفظ (في) الدالة على الظرفية، بدلا عن لفظ (على) الدالة على الفوقية؛ لأنه لما تقدم العلم وكشف الله أسرار الأرض وأسرار الكون، عرف العالم أن الأرض ليست بمدلولها المادي الذي هو الماء واليابس فقط. وإنما هي بغلافها الجوي، فهو جزء منها ملازم لها ويدور معها في دورانها، كما أنه مكمل للحياة عليها، وبدونه تصبح الحياة على الأرض غير ممكنة، ولا يقال: للطائر في جو الأرض إنه خرج عن الأرض، إلا عند خروجه عن نطاق الغلاف الجوي للكرة الأرضية. ومن هنا ندرك السر في عدول القرآن عن لفظ (على) واستخدامه للفظ (في) بدلا عنه؛ لأننا في الحقيقة نسير في الأرض بينها وبين غلافها الجوي، وليس عليها هذه حقيقة علمية لم يكن الناس يدركونها وقت نزول القرآن، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو القائل والخالق يعرف أسرار كونه ومخلوقاته، فاختار اللفظ الذي يعطي لكل جيل عطاءه، ويعطي لكل عقل حاجته، دون تناقض مع الحقائق العلمية والكونية، ويفهمه كل جيل بحسب ظروفه ومعطياته، وحقا إنها لدقة في الاختيار، وروعة في الاستخدام، والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: 14]

قال منسأته ولم يقل عصاه، والمنسأة هي العصا ولها في اللغة دلالتان:

الأولى: نسأ البعير إذا جره وساقه، والمنسأة تزجر بها الإبل لتسوقها.

الثاني: من نسأ بمعنى أخر الشيء، والنسيء التأخير.

فلماذا استعمل كلمة منسأة ولم يستعمل كلمة عصا في سورة سبأ.

في قصة سليمان عليه السلام هذه العصا كانت تسوق الجن غلى العمل مع سليمان إلى أن مات سليمان، فسقطت العصا، وسقط سليمان، فكما أن الراعي يسوق الإبل لتسير فهذه المنسأة كانت تسوق الجن. والمنسأة كأنها مدت حكم سليمان فهي أخرت حكمه إلى أن سقط. فاستعمالها في قصة سليمان أفاد المعنيين، واستعمالها من جهة اللغويين في غاية البيان من جهة السوق ومن جهة التأخير. (الجامع لأحكام القرآن (19/ 204)

ومن هذا القبيل كلمة (أغطش) في قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: 29]. فهي مساوية من حيث الدلالة اللغوية لأظلم، ولكن (أغطش) تمتاز بدلالة أخرى من وراء اللغة، فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت، وعمّ الركود، وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة. قال القرطبي: "وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا: أي جعله مظلما؛ غطش الليل وأغطشه الله؛ كقولك : ظلم الليل وأظلمه الله. ويقال أيضا: أغطش الليل بنفسه، وأغطشه الله كما يقال: أظلم الليل، وأظلمه الله. والغطش والغبش: الظلمة. ورجل أغطش: أي أعمى، أو شبيه به، وقد غطش، والمرأة غطشاء؛ ويقال: ليلة غطشاء، وليل أغطش، وفلاة غطشى لا يهتدى لها".

ولا يفيد هذا المعنى كلمة (أظلم) إذ تعبر عن السواد الحالك ليس غير.

((والحمد لله رب العالمين))

الخاتمة

هذا البحث الموجز هو محاولة أو مقاربة لنوع من الدراسات البلاغية في القرآن الكريم، حيث إن الدراسات البلاغية حول القرآن أو التفاسير التي اهتمت بالجانب البلاغي الإعجازي في القرآن لا تكاد تتجاوز عدد أصابع اليد.

وفي رأيي أن هذا الجانب المهمل هو أولى بالاهتمام من مجرد تفسير القرآن أو معرفة أحكامه. لأن تفسيره معروف ومفهوم، لكن معرفة سر الإعجاز البلاغي، الذي كان ولا زال دليل نبينا وآيته على أنه مرسل من عند الله، هو الأحرى بأن نوليه اهتمامنا، ونسعى إلى معرفة مضامينه وحقائقه.

أليس من الواجب بعد الاعتقاد بأن القرآن معجز، ألا نكتفي بمجرد الاعتقاد، بل نسعى إلى أن نتلمس مواضع هذا الإعجاز، ونتحسسه ونتذوقه، فيزيد إيماننا، وتترسخ عقيدتنا.

وكتاب الله المجيد معجز في ألفاظه ونظومه، بل وفي رسمه وحروفه، لكنها علوم لا يتوصل إليها إلا من بذل وسعه، ووجه خاطره إليها في صدق وإخلاص.

اللهم اجعل عملي خالصاً لوجهك، ولا تجعل فيه شيئاً لغيرك، واعف عني، واغفر لي كل ما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي ما قد علمت.

Characteristics of singular forms in the Holy Quran

Abstract In this brief study, the researcher tries to shed light on the rhetorical characteristics of the Qur'anical singular, where it was observed that most studies of those interested in the miracle of the Holy Quran and its rhetoric focused on its systems and structures.

And witnessed that decided by the Sheikh of the rhetoric Imam Abd al-Qaher al-Jarjani (d. 471 AH) at the beginning of his unique rhetorical work (Evidence of Miracle), he said: "We have not spoken of eloquence and eloquence with the single meanings of speech, and it is not one of us in a way, but rather we refer to the provisions that Speak with composition and composition "(1).

His words can be carried on the methodology he chose for himself, so that his studies focus only on the systems of the Qur'an, and not a denial of the prestige of the Quranic term and its rhetorical miracle.

And if there are studies concerned with the eloquence of the singular word, but they are mostly studies at the theoretical level, and the Qur'anic term has not given its right to explain the rhetoric and miracles it contains. Such as the book (The Secret of eloquence) by Ibn Sinan al-Khafaji (d. 466 AH) and the book (The Parable of Walking) by Ibn Al-Atheer (d. 637 AH).

This research is a modest attempt to show the rhetoric contained in the Qur'anic miraculous properties, based on our firm belief that the glorious Qur'an is miraculous in its singular terms, such as its miracle in its impressive systems and structures.

مصادر البحث ومراجعه

1. ابن الجوزي، (1987)، **زاد المسير**، تح: محمد بن عبد الرحمن دار الفكر، ط 1، بيروت.
2. ابن العربي، (دت ن)، **أحكام القرآن**، دار الفكر – بيروت.
3. ابن القيم، (1973)، **مدارج السالكين**، تح: محمد الفقي، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت.
4. ابن القيم، (1996)، **بدائع الفوائد**، تح: هشام عطا، مكتبة نزار، ط1، مكة المكرمة

5. ابن عطية، (1993)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،ط1، لبنان.

6. ابن منظور، (دت ن)، **لسان العرب**، دار صادر، ط1، بيروت.

a. الجرجاني، عبد القاهر ،(1992)، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة .

7. الخولي، إبراهيم، (2007)، **مقتضى الحال بين البلاغة القديمة والنقد الحديث**، دار البصائر، ط1، القاهرة.

8. الزمخشري، (دت ن)، **الكشاف**، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

9. السامرائي، فاضل (دت ن)، **أسرار البيان القرآني**، بحسب ترقيم المكتبة الشاملة.

10. السامرائي، فاضل، (دت ن)، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، المكتبة الشاملة.

11. الشاطبي، (دت ن)، **الموافقات**، تح: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

12. الفاسي، (2002)، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية ، ط 2، بيروت.

13. القرطبي، (2003)، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: هشام البخاريي،دار عالم الكتب، الرياض.

14. المنجد، محمد، (دت ن)، **الترادف في القرآن الكريم**، دار الفكر، دمشق.

15. **تهذيب اللغة الأزهري** ،المكتبة الشاملة.

16. درويش، صادق، (2009)، **إعجاز القرآن**، دار الإصلاح، ط1، دمشق.